كُتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبد العزيز الدوري
(عضو مشرف في مجمع اللغة العربية بدمشق)

١ ــ لا يُراد هنا بيان اهمية النسب ودوره في الحياة العربية ، وتكفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة اساسيا في حياة القبائل قبل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثر في حجم الكيانات القبلية، بتحديدها او بتوسيعها عن طريق الحلف والتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثرت في تنظيم الديوان ، وفي التعمير ، وفي تنظيم المناسبة ، كما انها (وتأثرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحا .

ظهرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابين في كل قبيلة ، وبوجود كُتب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . وتشير الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ ــ ١ ومن ١١١) .

وظهر نسّابون ومتعوا اهتمامهم الى الكثير من قبائل ودوّنوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنبَ الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسّابين من اهتمّ باخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (المتوفى

ابن النديم ص ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ من اهتمام خالد القسري بها) .

ولم تصلنا مؤلفات من الانساب الا من القرن الثالث ، في مقدمتها "جمهرة النسب" لهشام بن السائب الكلبي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش واخبارها لابن اخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبلغ الكتابة في اطار النسب اوجها عند البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) . وسنتناول الملاحظات التالية المؤلفات الثلاثة المذكورة :

٢ — وجمهرة النسب لابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤) كتاب شامل في انساب العرب (اطلعنا على مخطوطين له : الاول مخطوط المتحف البريطاني ؛ فيه انساب عرب الشمال ونسب الازد ، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز له بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال ، وفيه نسب ربيعة ، ثم انساب القبائل اليمانية ؛ وعنوانه : كتاب النسب الكبير (ونرمز له بـ ق ٢) .

ويبدو ان "جمهرة النسب" جاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ ا ، ١٩٤ ا) ، في حين ان كتاب النسب الكبير جاء عن ابن الكلبي مباشرة . كما يبدو ان ترتيب القبائل لا يخلو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد اول القبائل اليمانية في جمهرة النسب ، يبدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائل قبل ان يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن اثر الرواية في تناقل الكتاب .

ويرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معد واليمن الكبير ، تأليف محمد بن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غير دقيق بالنسبة لكتابنا ، ولكنه له دلالته . فهل وضع الكلبي كتابا في الانساب ؟

احمد درين الكلبي (٧٦٣/١٤٦) انساب العرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة ، كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض مناسبة نقائض الفرزدق . وقد افاد ابنه هشام من دراساته وانتهى في وضع كتابه (الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٤٠ — ١) . وان لم ترد اشارة الى كتاب له . الا ان الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ ا) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/١٦٤ ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ١٧١) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي تشير الى الاخذ من كتاب او شفاهيًا .

وهكذا يتبين ان محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق ١/٢ ب) ومن ثنايا الكتاب (ق ١/١٦٠ ا : « نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ، عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخا لبكر بن وائل يتولون » (ق ١/١٦١ ا) . و « قال هشام بن الكلبي، قال خراش : كانوا .. » ، (ق ١/١٧٢ ا) و « قال هشام بن محمد الكلبي، حدثنا ابو مخنف الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادي .. » (ق ٢/٨٥ — ٦) . وعند الحديث عن ام « عايذ بن ثعلبة » يرد « واسمه اسماء، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقيّ بن القطامي يقول: هي الجذماء بنت علبة .. بن عمرة بن اسد . قال هشام »

وهذا من قوله باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ أ).
ويرد ذكر بعض من أخذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الى اقبال الرواية يقول ابن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقي هشام ابن الكلبي لقيدلا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن الفضل (من غني بن اعصر) يُرد:« كان شريفا لقيه ابن الكلبي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ أ) . وفي ذكر مسيك المرادي يرد: « قال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابو خباب الكلبي .. الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابن الكلبي،مثل عرفاء بن مساد بن شريح،« وقد لقيه هشام بن الكلبي في زمان ابي جعفر وهو ابن تسعين سنة،وكان بدويا » (ق ١/٢٠٤ أ ، وانظر ق ١/٧٨ أ عن الشاعر ابي الشعب) .

وقد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثل « وولد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولم يذكر الكلبي ولد تيم » (ق ١/٢١٥ أ) ؛ و « هؤلاء بنو الهجيم بن عمرو بن تميم » ، وليس هذا عن الكلبي » (ق ١/١٩٣ أ) . او تسرد تحويلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبد الرحمن بن ابي ليلي .. كان مولى الانصار، فدخل فيهم ابن امية،في قول الكلبي ؛ واما ولده فقالوا اسمه داود بن بلال بن امية » (ق ١/٥٩ أ) .

ويبدو ان محمد بن حبيب قام ببعض التدقيق او الاضافة في روايته ونشره لجمهرة النسب ، كما يتبين من بعض الملاحظات مثل « قال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي، كتبته من بعض ولد عطارد » (ق ١/١٦٤ أ) ، ومثل « وكان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر،ولم يكن فيه بدر وعتبة ، ويدر من كتاب ابن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابن الاعرابي ؛ « وفي كتاب ابن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١/١٩٠ أ ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو ابو عبد الله بن قتيبة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقال الكلبي قتمة » (ق ١/١١٢ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١/١٢٠ ا ، ١٦٧ ا ، ١٨٠ ا ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ ا) وفي الاهتمام بقتل من قتل مع علي ، والحسين ، وفي معركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ ــ ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى ايام المأمون (ق ١/٢٠٣ ب ــ ٢٠٤ ا) ؛ مع تعليق موجز او اشارة مركّزة تبيّن دور من يظهر في الاصول المختلفة ــ من كان شريفا او سيدا في قومه ، ومن برز في يوم من ايام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن رآه الرسول النبي (ص) او صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص) خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما نلاحظ بعض من قُتل في ايام العرب الكبرى في الاسلام ،كالقادسية واليرموك والجمل وصفّين .

ويُعنَى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة ،من امراء وعمّال ، وقادة ، واصحاب شرط ، وقضاة . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة الى ما يتميّز بمن تميّز في مجالات اخرى ،مثل الخوارج ، وفقهاء الدولة العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة ،كالفقه والنحو والاخبار ، وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا نجدها عند غيره .

ولعلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية ــ امثلة : « منهم مسعد بن

خسفان بن ظالم،كان سيد بنـي سعد في زمانه .. وكان جاهليًا » (ق ١/٨٤ أ ـ ب) . هوذة ابن علي بن ثمامة (من بنـي سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية تيمنهـا (٣٠٠٠٠) درهم » (ق ٢/٣٥) . « ومنهـم (الازد) السمؤل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛ كان من اوفى العرب،وهو صاحب تيمـاء،وولده بها الى اليوم » (ق ١/٢٤٨ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛ كان على بكر بن وائل يـوم اوارة ، يـوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن مـاء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومـن الفترات الاسلامية ـ امثلة : « ابو رحم،وهو كلثوم بـن الحضين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول اللـه في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينـة » (ق ١/٤٩ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بـن الاسود .. شهد القادسية ؛ جاهليّ اسلامي ، والي حمص،وهـو الذي قسمها منازل حـين افتتحها » (ق ٢/٩١) . « فمـن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١/٢٠٠ أ).

« فمـن بني بهدلة عوف بن حصين،وهو الزبرقان بن بدر .. الذي ادى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ١/٨٩ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) » (ق ١/١٣٦ أ) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بـن غزوان .. الذي فتح البصرة،وكانت يومئـذ البصرة (كذا) ، وهو الـذي بصر البصرة » (ق ١/١٥٧ أ) .

« ومـن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي،وهو الوليـد بن القطامي .. النسّابة ؛ كـان في صحابة النصور والمهدي » (ق ٢/٤٣٧) وانظر (ق ١/١٦٣) .

« لقيط الرواية وكـان سدوقا » . « منهم سعيد بن الخشن بـن عمارة .. وكان فقيهـا بالكوفة » (ق ١/٨٢ أ) . انظـر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علـي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضـاة لهرون الرشيد على الشرقية ، وكـان ولاه الخاتم مع محمد بـن هرون ، وولاه قضاء القضـاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علـي بشاهد .. وهو جـد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابـو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المـلأ يأمرون بك » (ق ١/٨٥ ب . وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب عن عروة بـن كعب النقيب) .

« ابـو بلال مرداس ،واخوه عمرو ،ابنـا بدير بن عمرو .. وامهما ادية ،وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/١٤١) . « راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي ،قتـل يوم النهر » . اشارات اخرى (ق ١/١٦٨ب ، ١٦٩ ب ، ٢٣٠ب ، ٧٨ب ، ٢٠٠ أ) .

« مـن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٢٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفـد الى النبي (ص) وكـان في الفـين وخمسمئة (من العلماء) » (ق ٢/٦٠ وانظر ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكـان في ٢٥٠٠ ») .

ويشـير الـى الشعراء (انظـر ق ١/٢٠٨ أ ـ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ـ ب) ، ويورد مقتطفات مـن شعرهـم (انظـر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيتين وثلاثة ابيات ،وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايام العرب في معرض حديثه عن شريف او فارس ؛ مثل قوله : « فمن بني عمرو بن ربيعة عامر بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار » (ق ١/١٩٧ ا) . و « منهم عبّاد بن مسعود بن عامر الذي حاجز القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١/١٩٦ ا ــ ب). و " ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كليب يوم خزاز » (ق ١/٢٢٨ ا) . او ترد الاشارة بمناسبة قتل شريف، مثل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلم الغساني يوم جبل فيد » (ق ١/١٧٢ ب) ، او لحادث ذي صلة مثل « ضبيعة بن الحارث بن خالد .. الذي يقول له عامر بن الطفيل وطعنه يوم النتاءة .. » ق ١/١٨٦ ا) .

ومن الايام التي يشير اليها يوم اوراة (ق ١/١٩٦ ب) ويوم الجلاة (ق ١/١٨٨ ا ــ ب) ويوم جبلة (ق ١/١٧٨ ب ــ ١٢١ ا) ويوم الذنايب (ق ١/٢٢٦ ب) ، ويوم الكلاب (ق ١/١٣٠ب ، ٢٢٧ب ، ق ٢/١٨١) ، ويوم قصة (ق ١/٢٠٧ب)، ويوم اللصاف (ق ١/١٩٧ ا ــ ب) ، ويوم التحالق (ق١/١٩٦ ا)، ويوم النجير (ق ٢/١٠٤) ، ويوم الاجفر (ق ٢/١٥٥) ويوم صفاق (ق ٢/١٨٥) ، ويوم هيف الريح (ق ٢/١٨٨) ، ويوم الاخرين (ق ٢/١٩٠) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢) ، ويوم النقار (ق ٢/١٦٢) ، ويوم الكلاب الثاني (ق ١/١٩٨ ا) ، ويوم القرنين (ق ١/١٢٤ ا) ، ويوم الحاجر (ق ١/١٣٣ ا) ويوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب) ، ويوم النحيل (ق ١/٢٣٠ ب) ، ويوم الفيار (ق ١/١٢١ ا) ويوم ذي علق (ق ١/١٢٢ ب ــ ١٢٣ ا) .

ويتناول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل من النظرة بان النسب كله لاب واحد ، سواء اكان هذا الدخول

لاسباب قبلية أو معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول:« وولد زهير بن اياد حذافة والتمال دخلوا في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني اسد » (ق ١/٢٤٢ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « والكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وعابسة وهم باليمن » . ثم يقول « والماضنة فانهم دخلوا في بني عذرة بن سعد بن هزيم بن قضاعة » (ق ٢/٥) . وعند الحديث عن فزارة بن ذبيان يقول : « ومنهم بهيس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١/١٧٦ ا) . وعند الحديث عن جذام يقول:« فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ٢/١٢٣) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول:« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة،عامر واشرس والديل وعوف ، فدخل اشرس والديل وعوف في بني ثعلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه،فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢/٢١٦) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول:« فولد بكر بن يشكر عامر .. وهم وعمرو والحارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٢/٢٢٧ وانظر ق ١/٨١ ا . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١/١١٦ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جنحود من حضرموت في تميم . انظر ق ١/٨٨ ا ، وانظر ق ١/٨٧ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية،فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له اهمية خاصة . فعن اسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية اعسر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١/١٦٥ ا ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابناء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث)(ق ١/١٩٥ أ) ، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم وما يشمله (ق ١/٩٦ ب ـ ١٩٧ أ) .

وهو يركز معلوماته احيانا ، في قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل مع وصف كل خطوة حتى ينتهي الى مضر (ق ١/١٩٥ أ ـ ٩٦ ب) .

ويشير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من القسم ، قال خراش ، « كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار وبذات الودع ، يريدون سفينة نوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعند ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد اخيه معاوية يضيف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئة اعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدماء ، فهي اول دية كانت في العرب مئة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول : « وهو الذي بحر البحيرة وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغيّر دين اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ؛ « وكان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٦) ؛ وعند الحديث عن حجر بن يزيد بن معدي كرب بن سلمة (من بني سلمة بن الحارث) يسميه « صاحب رباع بني هند » ، ويضيف ، « والرباع ان يأخذ الربع من الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المقترنات من بني هاشم ، أو اللواتي تزوّجن في قبائل اخرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب ، من حمير والقين وسليم ولخم وغزارة ؛ وهو استطراد يبين سُعة الروابط القبلية لقريش ، ويؤكد ما قيل في السقيفة من ان قريشا اوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدها) . ويذكر ان قيسا

(من ولد منبه بن بكر بن هوزان) وهو ثقيف كان « اول من جمع بين اختين من العرب » (ق ٢/١٥٣) .

ويقدم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الحيرة، في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، اخ اكيدر (في دومة من كتاب) اذ يقول،« وهو الذي علّمه اهل الانبار خطّا ، هذا الذي يسمى الجزم،وهو كتاب العربية ؛ وكان اول من كتبه قوم من طي بمكة فعلّموه اهل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ... وكان بشر بن عبد الملك ياتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بها الدهر ، فتعلمه بشر بن عبد الملك.ثم تنصّر الى مكة في تجارة فعلّمه ابا سفيان بن حرب بن امية — وابا قيس بن عبد مناف بن زهرة،وتزوج الصهباء بنت حرب بن امية ، ثم اتى الطائف فعلّمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثم اتى بادية بشر فعلّمه عروة بن زرارة الكاتب،ثم اتى الشام فعلّمهم » (ق ٢/١٢٦) .

ويورد ابن الكلبي احيانا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكر بني اسود بن مالك (بطن من بني مالك بن ثعلبة) يقول انهم « اصحاب النخل باليمامة الذي يصرم في السنة مرتين ، دعا لهم النبي (ص) » (ق ١/٢٢٥) . كما يورد اشارات الى انتقال القبائل الى الامصار ؛ فعند الحديث عن عشائر الازد يقول،« وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقال لها عين حرما » (ق ٢/٣٤٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة من تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مساجد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهم مسجد (ق ٢/٨٨) ، وامرؤ القيس بن الحارث (بطن من كندة) (ق ٢/٨٩) ، ومالك بن الحارث ، والمنهع بن الحارث (ق ٢/٨٩) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٨٩ — ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٩٠) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٩٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كندة) ، وشجرة (بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لها مساجد بسلمة وهو الحر (بطن) من ولد عمرو بن ابي كرب (ق ٢/١٠٢) ، وبهدلة (بطن) من ولد المثار بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو بشير الى بطنين جذيمة وحارثة ولكل مسجد بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بنو معاوية (بطن) من بني الحارث بن كعب ولهم مسجد (ق ٢/٩٣) ويذكر من بجيلة قيس واوس وعود لهم بالكوفة مساجد بلادهم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة » ويضيف « وبالكوفة لهم بيت يمالك وهو تراغم بطن وبرعم بطن لهم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ — ٩) . وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية بالكوفة .

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبا في خروجها ، ويضع خبره في اطار حديث ينسب للرسول ، فيذكر ان سبا ولد عشرة تشاءم أربعة وتيامن ستة ؛ فالذين تشاءموا بغسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا بحمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذين منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ — ٦ ، وانظر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية .

وختاما يمكن القول ان ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الانساب ، ويورد احيانا ملاحظات اوفى ؛ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول المختلفة .

هذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبيين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب ، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التنويه بمجهود كامل ، في تحويل الكتاب الى جداول ، وفي مقدمته المهمة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ ـ ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٢ ـ ٨٤٧/٦ ـ ٥٠) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالما بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين كالطبري والبلاذري وابن الفرج الاصفهاني على اهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينا من نسب قريش .

وتشعر خطة الكتاب بوجود اطار مختار للنسب اقره معاصرة ابن الكلبي ومن جاء بعده . ويبدو ان مصعبا واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخذ من الزهري ، « قال مصعب بن عبد الله الزهري » (ص ٣) . واخذ من مؤلفات تاريخية ، مثل مؤلفات « قال الواقدي .. في بعض اسناده » (ص ٢١٦) ، او « ذكر موسى بن عقبة عن ابي حبيبة » (ص ١٠٣) . ورجع الى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهل النسب لا خلاف بينهم » ، او « قال بعضهم » (ص ٤) . واضاف كثيرا من روايات في النسب والاخبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني عبد الله ابن عنبسة بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ بضعة ومئتين (ص ٢٤١ مشيرا الى سنّه ليؤكد اتصال الخبر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن عبد الله بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن مصعب بن عثمان بن عروة بن الزبير وغيره » (١٠٩) وقوله « اخبرنا سليمان بن

مؤلف السعدي قال » (ص ٢٢٩) . واخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد ياخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « اخبرني من قرأ في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا يونس الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدل على جهده الواسع في دراساته وفي جمع اخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر ، مع وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود نسّابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة اولية هي ان مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة طيبة من الاخبار والشعر ، متجاوز خطة الملاحظات المركزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

٥ — يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب ، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ، فيذكر ان عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويرى ان من ولد معدّ بن عدنان قضاعة (ونزار) ، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى تأييد ذلك بقوله : « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدل على ان نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

من ربيعة ومضر ويقول :« وكان يقال ربيعة ومضر النزاران من ولد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النزاري، ومن كان منهم بالشام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويفاخر ان بجيلة من انمار بن نزار، وانهم « انتسبوا الى اليمن دالاّ من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بن يشكر يقول « وقد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم، وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهم بالعراق على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن شيا هنالك وبين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبين من هذه الاشارات انتساب قبائل من عدنان الى اليمن ، مما يُشعر بتحركها جنوبا قبل الاسلام ؛ فالاشارات اليها في التاريخ وبُعْدَها تستبرها يمانية . وقد كان مالوفا في اليمن تحويل عشائر او مجموعات في انساب غيرها لضرورات زراعية او سياسية .

ولعل اهمّ ما في نسب قريش انه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهو يورد معلومات واخبارا عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيد ، واحيانا المامون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الى عصره .

واخباره احيانا وافية ومهمة ؛ وقد يتوسع مرة الى ما يقرب من ترجمة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٦١ — ٧) ، وعن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٤٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامر (ص ١٠٧ — ٦) .

ويأتي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكها في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتب الادب ، ولكنها

طريقتها لا ترقى الى ترجمة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ — ١) . وقد يكتفي المؤلف بمجرد اشارة موجزة او طويلة الى حدث (انظر ص ٢٢٠ — ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظر مثلا ص ٣٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ — ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايام المنصور ص ٢٨٤ — ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمة تتصل بالمصاهرات والعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشعر باهمية المراة وبدورها (انظر مثلا ص ٣١٣ — ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافية عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، ولبيبة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ — ٣) .

ويتميز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانه يعطي احيانا اخبارا لها اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشارة الى وجز بن غالب يذكر انه « اول من عبد الشعرى » ، وانه كان سيدا في خزاعة، ويضيف « ووجز هو ابو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول الله (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احدا لا يعمل شيئا الا يوفق يشبهه ؛ فلما خالف رسول الله (ص) دين قريش قالت قريش ينزعه ابو كبشة ، لان ابا كبشة خالف الناس في عبادة الشعرى .. » (ص ٢٥١ — ٢) .

واما انه ادق من يكشف النظرة الداخلية لمروان للسفيانيين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال له « ما اخذ هؤلاء — يعني بني حرب بن امية —

الخلافة الا باسم ابيك فما ينبغي ان تفعلي بطفل ، فاستخر الله منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف : « وهذا فلان وهذا فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « اشهد يا مروان انني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ، ودينَ الله دغلا ، وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو فضول اشتهر فيما بعد بين المؤرخين (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة ، في بدء ولاية عاصم بن ابي عاصم بن عتبة . يقول : « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يلي اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : ياتيني اهلها فادفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء ياخذونها ، فلا يغيبون غائبا ، ولا يميتون ميتا ، ويعدون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فاراد عاصم ان يسلم الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه .. » (ص ١٠٤) . وهو نصّ يَدُلّ على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والاستشهاد ، التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٢٢ — ٣ ، ٢١٤ — ٥ ، ٢١٤ — ٧) .

٦ — انساب الاشراف للبلاذري ، فيه دراسة قيمة لتاريخ العرب الاسلامي ، ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبدو ان تنظيم خطة الانساب لديه ولدى من سبقه يتمشّى مع تنظيم ديوان العائلة ، ابتداء بآل الرسول ثم الاقرب فالاقرب . فهو يبدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ — ٢٧٨) بعد ان يمهّد لما يتعلّق في انساب العرب ليصلها باجداد الرسول ، وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ — ٤٠) ، يليها ابو طالب واولاده (العلويون) (٢٩٠ — ٥٢٦) ، والعباس بن عبد المطلب واولاده (العباسيون) (٥٢٦ — ٦٧١) ، وامّية بن عبد شمس (الامويون) (٦٩٠ — ١١٩٦ ، و ق ٢ - ١ — ٤١٥) ، وبقية قريش (ق ٢ ٤١٥ — ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ — ١٢٦٨) . وهكذا خصّص للسيرة حوالي $\frac{١}{١٠}$ من الكتاب ، ومثل ذلك للعلويين ، وخمّس للامويين حوالي $\frac{١}{٥}$ الكتاب ، وللعباسيين حوالي $\frac{١}{١٦}$ منه ، وابقية مضر اقلّ من ربعه .

لقد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر ، الا القليل منها (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولم يتناول ربيعة واليمن ، وان وجد ما يدل على ان دراسته تجاوزت ما في الكتاب ، الا انه توفي قبل ان يتمّم كتابه (حاجي خليفة ١/٢٧٤ . وفي تاج العروس اشارات اليه تتعلق باليمن) .

تناول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايام المنصور ، واوجز في اخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ — ٦٧١) ؛ وهذا يستدعي الانتباه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين من ايام المأمون الى ايام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلته بالخلفاء العباسيين من المتوكل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عند حدود المعاصرة ؟ ان شيخه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايام المعتصم ، وان بعض معاصريه كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري ، تناولوا هذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمعتضد (ت ٢٨٥ هـ) . أم ان البلاذري سار على هدي اهل

النسب مثل مصعب الزبيري وابن الكلبي ؛ لقد بدأ تأليف العرب في الديوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يتسلسل جديا الا ايام المأمون ، ثم جاء المعتصم فاسقط العرب من الديوان . وهذا يعني ان تسجيل المقاتلة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،مما يجعل التوقف في اطار الانساب ملموسا في الهيكل والتدرج .

وتبدو ميزة انساب الاشراف في انه قدم تاريخا للاشراف العرب في مختلف الحقول ، مع تاريخ الخلافة ؛ وهو تفوق فريد في سعة افقه وشموله .

٧ — وقد افاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متباينة من اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين،اضافة لكتب الانساب . ولئن كان هيكله هو اطار الانساب،فان عناوينه الفرعية للاحداث الهامة في فترة كل خليفة،تذكّر بعناوين كتب الاخباريين . في حين ان تناوله للسيرة ولترجمات الاشراف متأثر بأسلوب الزاميين والطبقات . ويلاحظ بين اساتذته المدائني (٢٢٥/٨٣٦) شيخ الاخباريين ، وابن سعد (٢٣٠/٨٤٤) صاحب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابن الكلبي .

افاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابن بكير (برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتبه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة من المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة او بالنقل من كتبه) . ومن دراسات انساب الزاميين في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افاد من اهل الانساب ، خاصة ابي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنه هشام،ومصعب الزبيري .

وافـــاد البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ مـــن شيوخـــه ومن روايات شفوية اخرى ، وافـــاد من اسفاره في جمع روايـــات محلية موثقة من اشيـــاخ المـــدن التي زارها في الشام والثغـــور والمدينة، اضافة المـــدن العراقية .

والبـــلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رايـــه احيانا لتوثيق رواية . وقـــد يورد صورا لرواية باسانيـــد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنـــه كثيرا ما ياخذ معلوماته مـــن مجموعة مصادر ايعطـــي خبرا متصلا . ويبـــدو ان النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين ،واصحـــاب مغازي، وطبقات، وتاريخ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنتـــه من ذلك . وهنـــا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبـــه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احـــد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحـــق في السيرة، او ابـــي مخنف في الثورات العلوية) ثـــم يضيف روايات غيره ليعطي معلومات مكمّلة او مباينـــة ، يبني البلاذري قاعـــدة معلوماته على ما هو مقبول لـــدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبدأها بـــ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتـــمّ اخباره ، وهو اسلوب بالـــغ الاهمية في فهـــم البلاذري . وفي حين يركّـــز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبـــدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احـــداث الفتوح والاحداث التي تتّصل بتاريخ الامـــة في الفترات الاولى ؛ كما انـــه يعطي اهمية خاصة لروايـــات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتمّمهـــا بروايات اخرى خارجيـــة .

ويعتمـــد البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابـــه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديـــم والتاخير (مثـــلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متاخرة) . ويعتمـــد حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احـــداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاها في صدر الاسلام .

ان ثقافة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه ومن اشتغاله بالترجمة ومن مواهبه الشعرية ، تشير الى انسجام بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية وبالثقافات الاخرى هذا مع تركيزه على احوال العرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتماما بالنواحي الاجتماعية والادبية والدينية في اخباره ، ويتوسّع فيما يورد من متعلقات شعرية ، وفي ايراد القصائد المطولة .

وليس هذا مجال تحليل كتابه المنعم ، يسعنا ان نورد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفاء) .

٨ — ان ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون انساب الاشراف تاريخا للاشراف العرب في تراجمهم ، كلٌ في موقع نسبه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هذا التاريخ ، ويرى في الاشراف مركز الاهمية من هذا التاريخ ؛ ويعبّر عن النظرة الاجتماعية لهم عند العرب . وهو في تراجمه وبما يقدّمه من اخبار وآثار ، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمه واسعة تستوفي الانتباه ، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٦٦٤ — ٦٧٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ — ١٢٥٨ انسانة لاخبار ابن الاشعث والوليد) ؛ ولبعض الفصحاء والشعراء ، مثل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٢ — ٦) وأكثم بن صيفي (ص ١٠٧٢ — ١٠٨٧) والفرزدق (ص ٨٧٦ — ٨٩٥) وجرير (ص ٩٦٧ — ٩٦٢) ومالك بن صفوان (ص ٩٧٧ — ٩٩١) . وقد يفيض في الترجمة لكثير من المعنيّين بحقل الاختصاص ، كما في ترجمته لابن السكيت الاهوازي (ق ٢ ص ٧١٠ — ١٣) ، وهو بذلك يكشف جانبا من الحياة الادبية .

وفي انساب الاشراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخباره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منها حسب دور المترجم له .

ويُعنى البلاذري بامور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدّم معلومات واسعة عن قريش قبل الاسلام وبعده، بتفاصيل لا تَرِد عند مؤرخ آخر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : « قبل ما ساد قريش مُمْلِق في نسبه وأبي واللسب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظر اخباره عن محاولة عثمان بن الحويرث ان يتراس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثل اشاراته للايلاف (ج ١ ص ٥٩ — ٦٠) .

ويهتم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة متواصل يوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٦ ، ٩٠٣ — ٤) ، ويوم غيط المدرة او صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويوم تحتيح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي اللوح (ق ٢ ص ٩٢٨ — ٩٣٠) ، ويوم الربوت (ق ٢ ص ٩١٨ — ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٥) ، ويوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ — ١) ، ويوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ — ٢) ويوم النسار ويوم الجفار (ق ٢ ص ٧٢٨) ، وايسلم الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ — ٢) ، ويوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ — ٣ و ج ١ ص ٧٠٠) . ويوم التحريرة نون ايام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٠) ويوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ — ٣ ، ٨٥٧) ويوم اوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ — ٧) ويوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ — ٢ ، ١٠٢٢) . هذا وترد اشارات اكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

ضـــو(ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٢) ويوم وعريعر
(ق ٢ ص ٨٦٣) ويـــوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٢) ويـــوم ســـلمان
(ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهـــو يورد مقتطفات في مواضع عـــدة من قتائض جرير والفرزدق (انظـــر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثـــر من مصدر في اخبار الايـــام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفـــق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جـــلّ اعتماده كان على محمد بن الســـائب الكلبي وابنـــه هشـــام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشـــارة الى ابـــي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقـــد يأخذ عن راوية من البـــدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) او يكتفي باشـــارة عابرة (مثل « قـــال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايـــام توازي روايات محمـــد بن حبيب (عن ابـــي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصة .

ويتحـــدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الاسلام ، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بنـــي شعلبة بن يربوع على بني اسد (ق ٢ ص ٧٣٥ — ٦ ، وانظر ٩٣٠ — ٢) ، الى احلاف (مثل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧١٣ ، ٧٢٨) ، او محاولات ثـــأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يـــد بني اسد ، ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ — ١) او شـــؤون اخرى مثل الاتفاق على جعل ولايـــة الموسم والاناضة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ — ٢) ، بـــل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمـــة الرفد والمرافد (ق ٢ ص ٩١٧ — ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغـــة الاهمية عن [illegible] خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٢ ، ٨٨٨ ، ١٠٠٢) بما في ذلك اشـــر الجفاف في البادية على مياه بئر [illegible]

وحركتها ، كما يقدم معلومات ثمينة عن نظرة العرب للأرض، ومن تحوّل الأشراف الى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في ماليمة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (ويأتي قارئها الطبري احيانا في السعة) .

٦ — ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابي اليقظان (٨٠٥/١٩٠) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنه عادة بعبارة : قال ابو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) او « وفي رواية ابي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى اهميته ودوره في النسب .

كما انه يأخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (من ابنه) او بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن ابيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام او بالاخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وبوفا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٩) ويبدي تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي اثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

ولذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية فانه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخباره الى مصادر متعددة يبدأها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحٰق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، اشارة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير ٤٠ رواية) ، لما ابن اسحٰق فيرجع اليه بقدر متواضع ٤٣ رواية) . وللدليل لذلك ننظر الى اخباره عن بدر لنرى ان سلب معلوماته يرد تحت « قالوا » (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو ان البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف » فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول ان يكون موضوعيا ، ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات دقيقة عن الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري